

تفسير البحر المحيط

@ 180 من عندنا قالوا إن هَذَا لَسِحْرٌ مَّبِينٌ * قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ {
أي : من بعد أولئك الرسل بآياتنا وهي المعجزات التي ظهرت على يديه ، ولا يخص قوله :
وملائه بالإشراف ، بل هي عامة لقوم فرعون شريفهم ومسروفهم . فاستكبروا تعاضموا عن
قبولها ، وأعظم الكبر أن يتعاطم العبيد عن قبول رسالة ربهم بعد تبينها واستيضاحها ،
وباجترامهم الآثام العظيمة استكبروا واجترؤوا على ردّها . والحق هو العصا واليد قالوا
لحبهم الشهوات : إن هذا لسحر مبين ، وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس
إلا تمويهاً وباطلاً ، ولم يقولوا إن هذا لسحر مبين إلا عند معاينة العصا وانقلابها ،
واليد وخروجها بيضاء ، ولم يتعاطوا إلا مقاومة العصا وهي معجزة موسى الذي وقع فيها عجز
المعارض . وقرأ مجاهد ، وابن جبير ، والأعمش : لساحر مبين ، جعل خبر إن اسم فاعل لا
مصدراً كقراءة الجماعة . ولما كابروا موسى فيما جاء به من الحق أخبروا على جهة الجزم
بأن ما جاء به سحر مبين فقال لهم موسى : أتقولون ؟ مستفهماً على جهة الإنكار والتوبيخ
، حيث جعلوا الحق سحراً ، أسحر هذا أي : مثل هذا الحق لا يدعى أنه سحر . وأخبر أنه لا
يفلح من كان ساحراً لقوله تعالى : { وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ * ثُمَّ أَتَى } والظاهر
أن معمول أتقولون محذوف تقديره : ما تقدم ذكره وهو أن هذا لسحر ، ويجوز أن يحذف
معمول القول للدلالة عليه نحو قول الشاعر : % (لنحن الألى قلتم فإني ملتئم % .
برؤيتنا قبل اهتمام بكم رعباً .

%)

ومسألة الكتاب متى رأيت ، أو قلت زيداً منطلقاً . وقيل : معمول أتقولون هو أسحر هذا
إلى آخره ، كأنهم قالوا : أجنئنا بالسحر تطلبان به الفلاح ، ولا يفلح الساحرون . كما قال
موسى للسحرة : ما جنئتم به السحر إن سيبطله . والذين قالوا : بأن الجملة وأن
الاستفهام هي محكية لقول اختلفوا فقال بعضهم : قالوا ذلك على سبيل التعظيم للسحر الذي
رأوه بزعمهم ، كما تقول لفرس تراه يجيد الجري : أفرس هذا على سبيل التعجب والاستغراب ،
وأنت قد علمت أنه فرس ، فهو استفهام معناه التعجب والتعظيم . وقال بعضهم : قال ذلك
منهم كل جاهل بالأمر ، فهو يسأل أهو سحر ؟ لقول بعضهم : إن هذا لسحر ، وأجاز الزمخشري
أن يكون معنى قوله : أتقولون للحق ، أتعيبونه وتطعنون فيه ، فكان عليكم أن تدعنوا له
وتعظموه ، قال : من قولهم فلان يخاف القالة ، وبين الناس تقاويل إذا قال بعضهم لبعض ما

يسوء ، ونحو القول الذكر في قوله : سمعنا فتى يذكرهم ثم قال أسحر هذا فأنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه . .

وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم . فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون . فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن ا سيبطله إن ا لا يصلح عمل المفسدين . ويحق ا الحق بكلماته ولو كره المجرمون { : أجيئنا خطاب لموسى وحده ، لأنه هو الذي ظهرت على يديه معجزة العصا واليد . لتصرفنا وتلوينا عن ما وجدنا عليه آباءنا كما من عبادة غير ا ، واتخاذ إله دونه . والكبرياء مصدر . قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضاحك ، وأكثر